دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	التخطيط الحضري في بعض مصنفات العلماء المسلمين دراسة في الفكر الجغرافي
المصدر:	مجلة البحوث الجغرافية
الناشر:	جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات
المؤلف الرئيسي:	عثمان، أسامة إسماعيل
المجلد/العدد:	ع 10
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2008
الصفحات:	273 - 296
رقم MD:	194674
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	السكان ، الجغرافيا ، العلماء المسلمون ، التخطيط العمراني ، المدن ، الريف ، الهوية الإسلامية ، التاريخ الإسلامي ، الفتوحات الإسلامية ، الإسكان ، الأحوال الاجتماعية ، الأحوال الاقتصادية ، المحلات التجارية ، الطرق
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/194674

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

التخطيط الحضري في بعض مصنفات العلماء المسلمين

دراسة في الفكر الجغرافي

المدرس

أسامه إسماعيل عثمان

كلية الآداب - جامعة البصرة

المقدمـــــة

كان التخطيط ولا يزال يحظى بأهمية كبيرة في الدراسات التي تعنى بتحديد الرؤية المستقبلية للحيـاة البشرية بشتى صورها وفعالياتها ، فالإنسان بوصفه الكائن الوحيد المسؤول عن تعمير الأرض يحـاول دائما تحدى عقبات الطبيعة ليصنع منها بإرادته الواعية لأهمية التعاطي مع الإمكانات المتاحة له حيـاة أفضل لمجتمعه .

والتخطـيط الحـضري واحـدا مـن أصـناف التخطـيط الـذي حظـي بالعديـد مـن الدراسات التي تتعاطـى مع المستوطنات البشرية منذ القدم فقد سبق البابليين الأمـم الأخرى بوضع جداول مطولة بأسماء البلدان والمدن والأنهار ، وقد راعـت هـذا الجانـب المدارس الفكريـة المعروفة كالمدرسـة الإغريقيـة والرومانيـة الـتي أسـهبت في تحديد الأطر التي اتبعها المخططون في تلك الحضارات عند تخطيط المـدن وتحـديد التوزيـع الأمثل لاستعمالات الأرض ضمن خطة المدينة (التصميم الأساسي) .

هدف الدراسة

يهدف هذا الى البحث تتبع الآراء التي وضعها العلماء في العصر لإسلامي(*) في مصنفاتهم عند دراستهم المدن الإسلامية ضمن مفهوم التخطيط الحضري، فضلا عن دراسة الأفكار التي صيغت لتخطيط المدن الجديدة التي ظهرت في ذلك العصر **) لتمحيصها وتحليلها ومحاولة الخروج بمنظور يؤطر لهؤلاء العلماء جهودهم في رفد التخطيط الحضري بالنظريات والمفاهيم التخطيطية إن وجدت .

فرضية البحث

من اجل تحقيق هدف الدراسة وضع الباحث الفرضية الآتية "" كانت المدن لجديدة في العصر الاسلامي مدنا مخططة وفق رؤى علمية وفقهية ولم تكن عشوائية النشأة "".

منهج البحث

ومن اجل تأكيد مدى صحة هذه الفرضية حاول الباحث وباستخدام المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي فضلا عن المنهج الاستنباطي التحليلي تقصي حقيقة الدور الاسلامي في هذا المجال من خلال تفحص ما أمكن للباحث الحصول علية من المراجع العربية التي تناولت هذا الموضوع بالبحث والدراسة وهي على كثرتها انما

(*) نقصد بالعصر الإسلامي الفترة الممتدة من بداية تأسيس الدولة الإسلامية بعد الهجرة النبوية وحتى سقوط الدولة العباسية .

(**) منذ بدات الفتوحات الإسلامية شيد المسلمون عددا من المدن الجديدة كان من اهمها مدينة البصرة التي شيدها عتبة بن غزوان (١٤هـ/٦٣٥م) ومدينة الكوفة التي شيدها ابو الهياج الاسدي(١٧هـ/٦٣٨م) ومدينة الفسطاط التي شيدها عمرو بن العاص (٢١هـ/٦٤١م) ومدينة القيروان التي شيدها عقبة بن نافع (٥٠هـ/ ٦٧٠م) ومدينة واسط التي شيدها الحجاج الثقفي (٨٣هـ/٧٠٢م) ومدينة العسكر التي شيدها علي بن صالح (١٣٣هـ/٨٥٠م) ومدينة بغداد التي شيدها المنصور (١٤٥هـ/٧٦٢م) فضلا عن مدينة سامراء التي شيدها المعتصم.

تتطلب جهدا كبيرا في استخلاص ما يتعلق بموضوع البحث لذا تمت الاستعانة ببعض المصنفات وخاصة تلك التي اهتمت بموضوع المدن والريف واطباع السكان فيهما نظرا للعلاقة المتبادلة بين الانسان والطبيعة .

أهمية الدراسة

يرى ابن خلدون ان لكل حضارة عمرا معلوما وعد انطفاء توهجها الحضاري أمرا مسلما به في نهاية المطاف ولأسباب عدة تختلف من حضارة إلى أخرى ، ومن غير شك ان الحضارة الإسلامية احتلت مكانة مميزة بين الحضارات المعروفة في العالم سيما وانها استمرت لألف عام تقريبا شهدت خلالها العلوم المختلفة الكثير من التطور في المناهج والرؤى الفكرية وقد بلغت هذه الحضارة أوجها في القرنين الرابع والخامس الهجريين(العاشر والحادي عشر الميلادي) ، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة فيما تنشده من تقصي حقيقة الدور العربي و الاسلامي في رفد التخطيط الحضري بالافكار والنظريات خاصة مع تعرض مفهوم المدينة العربية الإسلامية للكثير من التشويه وسوء الفهم كما لم يتعرض له أي مفهوم آخر، لأن الدراسات الحديثة التي عالجت موضوع المدينة العربية الإسلامية لم تكن دراسات عربية ولا إسلامية فقد كان المستشرقون من أوائل من درس المدن الإسلامية في بداية القرن الماضي ولم تكن تلك الدراسات علمية وموضوعية بل كانت متحيزة ومتعالية(*)تحاول بكل الوسائل إثبات ان المسلمين لم يساهموا في بناء المدن ولم يعرفوا الحياة الحضرية عموما، فهم مجرد قبائل رُحّل تعودوا على الانتقال وعدم الاستقرار، وان المدن التي شيدت في العصور الإسلامية كانت مدنا حربية بالدرجة الأولى وكانت

(*) ظهر بين المستشرقين من كان منصفا في تمييز الجهد العربي الاسلامي في تطوير مفهوم التمدن ووضح تقدم العرب والمسلمين في مجال تخطيط المدن امثال ماكس ويبر وكويتاين والمؤرخ لابيدوس واوليك كرابار .

للمزيد ينظر : عبد الجبار ناجي ، موقف الاستشراق الأمريكي من دراسة المدينة العربية الإسلامية ، مجلة الاستشراق، االعدد الاول، ١٩٨٧.

امتدادا للمدن البيزنطية والرومانية ولم يتوقف الاستعلاء الاوروبي عند هذا الحد بل راح بالطريقة نفسها يبرهن ان المجتمع الإسلامي كان بعيداً عن العقلانية وبعيداً عن العلم والمعرفة، وان الحضارة الإسلامية لم تشهد تطورا في العلوم ولم تعرف نمط الحياة الحضرية وهكذا ظهر التراث الإسلامي في التحضر على ايديهم فقيرا ليس فيه حياة مدنية ولا يشير إلى ما انجزه المسلمون في مجال انشاء المدن وتخطيطها وحيث ان الإسلام له نظرة خاصة في الحياة والمجتمع والنظام والسياسة والاقتصاد فان المجتمع المدني الإسلامي له خصوصية وسمات تجعله يختلف جذرياً عن غيره من المجتمعات ولم تكن المدينة الإسلامية تعكس نفس الملامح والمظاهر خلال كل عصور تأريخها وتطورها، وانما كانت تعكس مظاهر حضارية وثقافية واجتماعية تختلف باختلاف العصور لأن المدينة هي انعكاس لثقافة العصر الذي وجدت فيه مع وجود اساس ثابت مستمر بطبيعة الحال.

هوية المدينة الإسلامية

عمد الإنسان منذ فجر الحضارات إلى تأمين المأوى المناسب الذي يلائم الظروف الطبيعية التي يعيش فيها وقد اختلفت أنماط وأشكال المساكن التي هيأها تبعا لذلك ، وقد كان للعرب نصيبا في معرفة الظروف البيئية التي يعيشون فيها وبالتالي كان تصميم البيئة السكنية يلائم تلك البيئة الطبيعية التي تتسم بالمناخ الحار ،

وكذلك كان للمعتقدات الدينية دورا في تحديد ملامح البيئة السكنية في المدن العربية فغالبا ما كان المعبد يشكل المنطقة المركزية للمدن نظرا للدور الذي يلعبه في حياة السكان الدينية والدنيوية وقد كان لمقر الحكم كذلك دورا رئيسا في تحديد خطة المدينة حيث كانت تتوزع الدور السكنية لطبقات المجتمع حول المعلَمين

تبعا لحجم النفوذ الذي تشكله في المجتمع ، وتعد مكة المكرمة خير مثال يمكن ان نستدل به على هذا الامر من الواقع العربي قبل ظهور الإسلام حيث كانت الكعبة المشرفة وما يحيط بها من اصنام فضلا عن دار الندوة تشكلان مركز المدينة الديني والسياسي ، وبعد ظهور الإسلام وتأسيس الدولة الاسلامية بملامحها

السياسية بعد الهجرة اخذ الرسول (ص) بتأسيس المسجد ومن ثم بنى غرفا له اتخذها دارا كان يدير منها امور الدولة الدينية والسياسية ، وقد اصبح ذلك عرفا تخطيطيا في العصر الاسلامي عند التأسيس للمدن الجديدة حيث يتم بناء المسجد وبالقرب منه دار الإمارة للتدليل على التوأمة بين الخطين الديني والسياسي في الدين الإسلامي ويظهر ذلك واضحا عند تأسيس مدن البصرة والكوفة و واسط والفسطاط والقيروان وبغداد .... الخ لذا اصبح المسجد السمة المميزة للمدن الإسلامية واهم العناصر العمرانية فيها ، ويذكر القزويني ان عملية تخطيط المدن كانت تمر بمراحل عدة تبدأ من اختيار الموضع المناسب للمدينة وذلك بقوله "" إن الملوك الماضية لما أرادوا بناء المدن أخذوا آراء الحكماء في ذلك فالحكماء اختاروا أفضل ناحية في البلاد وأفضل مكان في الناحية وأعلى منزل في المكان من السواحل والجبال ومهب الشمال لأنها تفيد صحة أبدان أهلها وحسن أمزجتها واحترزوا من الآجام والجزائر وأعماق الأرض فإنها تورث كرباً وهرماً ""(١). كما تناولت مصنفات المسلمين أيضاً جغرافيا المدن فقد اهتمت هذه المصنفات بذكر أسماء الأمصار والمدن والبلاد وضبط هذه الأسماء(٢) ، كما اهتم العرب في العصر الاسلامي بتصنيف المدن فقد عمدوا إلى تصنيفها حسب الحجم فقسموها إلى مدن كبيرة ومدن متوسطة ومدن صغيرة ، كما تم التصنيف على اساس الحضر والريف فتم تقسيم المستوطنات البشرية إلى مدينة وقرية وفصلوا في تصنيف كل نوع من انواع المستوطنات البشرية لذا ظهرت العديد من المصطلحات في المصنفات الإسلامية التي تناولت المدن والقرى بالدراسة والتحليل مثل مدين وقصبة وبلدة وبلد وكوره وقرية(٣) ، ويعتقد الباحث ان هذا التقسيم كان ثمرة لجهود العلماء المسلمين الذين ما انفكوا يدرسون المستوطنات البشرية في العصر الإسلامي دراسة تفصيلية اخذين بنظر الاعتبار عدد السكان واجناسهم ومستوياتهم الاقتصادية وطبقاتهم

الاجتماعية ونوع المهن السائدة في تلك المستوطنات ، ولا شك انهم استفادوا كثيرا من تصنيف المستوطنات البشرية الذي ورد في القرآن الكريم الذي تارة يسميها مدينة

كما في قوله تعالى "" فاصبح في المدينة خائفا يترقب "" (٤) وتارة قرية "" إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا "" (٥) وتارة يسميها بلد "" لا اقسم بهذا البلد ""(٦) وتارة بلدة "" إنما أمرت ان اعبد رب هذه البلدة "" (٧).

وأفضل المصنفات التي اهتمت بهذا الجانب هي المعاجم الجغرافية مثل (معجم ما استعجم ، معجم البلدان ، تقويم البلدان) ووضع بعضهم مؤلفات اقتصرها على أسماء الأماكن المتشابهة في الاسم مثل(كتاب المشترك وَضْعًا والمفترق صقْعًا) لياقوت الحموي وكتاب البلدان لليعقوبي واحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي فضلا عن كتب التاريخ مثل كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر_المقدمة_ لابن خلدون و تاريخ الرسل والملوك للطبري وكتاب تاريخ مدينة السلام (بغداد) للبغدادي والكامل لابن الاثير وتاريخ اليعقوبي وكتاب اثار البلاد واخبار العباد للقزويني وكتاب فتوح البلدان للبلاذري ، وتحدثوا عن أسس اختيار المواضع التي تقام عليها المدن من حيث توافر المياه وملائمة الهواء وارتفاع المكان وقد كان لابن خلدون آراء جد مهمة في سبب نشأة المدن وأفضل البقاع لإقامة هذه المدن كما وتطرق لأسباب خرابها فيقول (سبب خراب المدن قلة مراعاتهم لحسن الاختيار في ختطاط المدن وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان كيف لم يراعوا في ختطاطها إلا مراعي إبلهم وما يقرب من القفر ومسالك الظعن فكانت بعيدة عن الوضع الطبيعي للمدن ولم تكن لها مادة تمد عمرانها من بعدهم فقد كانت مواطنها غير طبيعية للقرار ولم تكن في وسط الأمم فيعمرها الناس)(٨) ، وتناول إخوان الصفا أيضًا جغرافية المدن وسكانها وطبائعهم وأعمالهم وعاداتهم ودوابهم فيقولون في الرسالة الخامسة وهي رسالة في الجغرافيا (إن في كل إقليم من الأقاليم السبعة ألوفًا من المدن تزيد وتنقص وفي كل مدينة أمم من الناس مختلفة ألسنتهم وألوانهم وطباعهم وآدابهم ومذاهبهم وأعمالهم وصنائعهم وعاداتهم ولا يشبه بعضهم بعضًا وهكذا حكم حيوانها ومعادنها مختلفة الشكل والطعم واللون والرائحة وسبب ذلك اختلاف مناخ البلاد وتربة البقاع وعذوبة المياه وملوحتها)(٩).

عليه يمكن القول ان المدرسة الإسلامية تنبهت لأهمية التخطيط للمدن منذ نشأة الدولـة الاسلاميـة ولا يمكـن ان نـدعي بـأن التخطيط الحضري في العـصر الاسـلامي كان عشوائيا او لا يراعـي العلميـة في تخطيط المدن بـل على العكس كـان التخطيط الإسلامي للمدن يراعي العوامل الطبيعيـة من حيث اختيار الموضــع والموقع للمدن الجديدة وتاثير العوامل المناخية والتركيب الداخلي لتلك المــدن والعلاقات الاقليمية لها وغيرها من الاعتبارات التخطيطية التي تكـاد تتشابه مع الاعتبارات التخطيطيـة التي يجب مراعاتها عند تصميم المدن في الوقت الحاضر ، وسنتطرق في هـذا البحث لكـل الاعتبارت التي اعتمـدت عنـد تخطيط المدن الاسلامية الجديـدة كما وردت في بعض مصنفات العلماء المسلمين وعلى النحو الاتي:ـ

اـ اختيار موضع وموقع المدن الجديدة :ـ

يعكس التخطيط المادي للمدينـة الإسلامية المحاور المختلفـة التي قـام عليها تخطيط المدينـة بجوانبـه المختلفــة وعـادة تبـدأ عمليـة التخطـيط لأي مدينـة باختيـار الموقـع situation الذي ستقام عليه وقد تاثر اختيار موقـع المدن الإسلامية بعوامل عدة اختلفت بحسب الدور المطلوب ان تؤديه هذه المدينة أو تلك سواء كان عسكريا أو سياسيا أو اقتصاديا.

معظم المدن الجديـدة في العـصر الإسـلامي كانـت مـدنا عـسكرية وخاصـة تلـك الـتي انـشات في العـصر الراشـدي نتيجـة للفتوحـات الإسـلامية الـتي كانـت تتطلـب وجـود اماكن لتجمع المحاربين لغرض الاستراحــة وتجميعالقوى فضلا عن متطلبات الاعـداد والتدريب العسكري خاصة مع وصول الفتوحات الى اماكن تبعد كثيرا

عن المدينة المنورة عاصمة الدولة الاسلامية ، ومن هنا جاءت فكرة تاسيس اول المـدن الجديدة في العـصرالإسلامي إلا وهـي مدينة البـصرة الـتي انـشات سنة (١٤هـ) حيـث كانت النظرة العسكرية العامل الاهــم فيتحديـد موضـع المدينة فلــ كـان للبيئة الـتي يعيشها العرب الأثر الواضح عند تخطيط المدينة وكان للصحراء

الدور البارز في صقل المدارك العربية ويبدو ذلك واضحا عند اختيار موضع مدينة البصرة فعندما اختار القائد عتبة بن غزوان موضعا خلف دجلة العوراء(١٠) وكتب بذلك للخلفية عمر بن الخطاب أشار له الأخير بان يختار موضعا آخر بحيث لا يترك النهر إلى الخلف منه بل يجعل من الصحراء ظهيرا له ولقد كان الغرض من ذلك عسكريا بحتا حيث ان وجود النهر امام المدينة يعتبر حاجزا دفاعيا طبيعيا يمكن ان يعيق حركة العدو في حال الهجوم كما ان وجود الصحراء ظهيرا للمدينة يتيح للجيش الاسلامي حرية الحركة فيها كونه الاعلم بمسالكها وقد روعي هذا الاعتبار كذلك عند تاسيس مدينة الكوفة ، وبعد تطور الدولة الإسلامية اخذت الاعتبارات التخطيطية تنحى منحى آخر يواكب التطور الحاصل في المجتمع ويتضح ذلك من تخطيط مدن واسط وبغداد وسامراء والفسطاط والقيروان(١١) وغيرها من المدن الاسلامية التي بدت لها مواصفات مختلفة وأصبح لها غايات عديدة ، وقد استفاد مخططوها من تجارب الامم الاخرى المجاورة

والتي بدت اثارها واضحة في طبيعة التركيب الداخلي لهذه المدن والذي بدا مغايرا تماما لتخطيط المدن الاولي والتي كانت تتسم بالبساطة .

أما بالنسبة لاختيار موقع المدن الاسلامية الجديدة فقد راعى المخطط لتلك المدن توفير اهم اسباب الحياة في تلك المواقع وهو الماء ، والماء كما هو معلوم يحظى باهمية كبيرة في حياة العرب نظرا لظروف الصحراء القاسية . كما وراعى المخطط العربي انذاك ضرورة ان يكون بالموقع او بالقرب منه اسباب الرزق لهذه المدن سواء للناس او للماشية ، كما برزت أهمية الاعتبارات المناخية في تحديد موقع المدن الجديدة حيث يذكر ابن الربيع الاعتبارات المناخية في اختيار موقع المدن وهي(سعة المياه المستعذبة واماكن الميرة المستمرة واعتدال المكان وجودة المناخ ونقاء الهواء والقرب من المراعي والاحتطاب) (١٢) كما يعد ابن خلدون(*)اعتدال المناخ ونقاء الهواء

(*) ظهرت العديد من الدراسات التي تناولت دور ابن خلون في رفد جغرافية الحضر بالكثير من المفاهيم والاسس لبعض النظريات التي سبق فيها غيره من العلماء . للمزيد ينظر: _ عبدالرزاق

من اهم الاعتبارات عند اختيار موقع المدن الجديدة حيث يذكر (فان الهواء إذا كان راكدا خبيثا او مجاورا للمياه الفاسدة او مناقع متعفنة اسرع اليها العفن من مجاورتها) (١٣) ، ويتوافق ذلك مع ما ذهب اليه لابلاش بقوله (ان للطبيعة اثر في نمو وازدهار المدينة اذ تحاول فرض نفسها على المدينة وعلى الانسان حيث يظهر اثر الطبيعة واضحا في شكل المدينة الهندسي) (١٤) ولعل مدينة بغداد تعد من اهم المدن الاسلامية التي بدا تاثير الاعتبارات المناخية واضحا في تحديد موقعها

وتخطيطها . كما لم يغفل المخطط للمدن الإسلامية أهمية الاقاليم المجاورة للمدينة حيث كان ذلك واحدا من الاعتبارات التي وضعت لاختيار الموقع فكلما كان الاقليم خصبا في موارده عنى ذلك امكانية استمرار الحياة في المدن الجديدة لذا فان العلاقة بين المدينة واقليمها والاقاليم المجاورة لها تعد أساسا لتحقيق

استمرارية الحياة فيها فضلا عن امكانية ازدهارها وتطورها وهو ما يفسر وفق النظريات الحالية بالعلاقة بين المدينة والريف المحيط بها او اقليمها المباشر فالعلاقة تبادلية كما يوضحها جمال حمدان بقوله (هناك تفاعل وثيق بين المدينة والريف يتكون من مجموعة من الافعال وردود الافعال المتبادلة بينهما) (١٥).

ومما يلاحظ ان العديد من المدن في العصر الاسلامي ازدهرت بفعل خصوبة اقاليمها مما جعلها تمتد في التاريخ وعبر العصور المتعاقبة لتبقى خالدة حتي وقتنا الحاضر كما هو الحال في مدن بغداد والموصل ودمشق والقيروان في حين ساهم تدهور الريف المحيط بالمدن سواء لظروف طبيعية او بشرية في تغير

موقع أو اختفاء الكثير من المدن الاسلامية كما هو الحال في تغير موقع مدن البصرة و واسط عبر العصور المتعاقبة . وقد اهتم العرب عند تخطيط المدن الجديدة بتحديد موقع المدن الجديدة بالنسبة للمدن المجاورة والاقاليم المجاورة لها فقد عمدوا الى اختيار موضعا يتوسط الاقاليم المجاورة ، ويعتقد الباحث ان هذا الأمر ساهم

عباس حسين ، اراء ابن خلدون وعلاقاتها بالمفاهيم الحديثة، مجلة الاستاذ، المجلد الخامس عشر،١٩٦٩.

بشكل كبير في ربط هذه المدن بسهولة مع بقية المدن عبر طرق وممرات مكنت هذه المدن الجديدة من السيادة والتحكم سيما اذا كانت هذه المدينة عاصمة الدولة كبغداد مثلا او انها اعدت لتكون قاعدة تنطلق منها الجيوش او تسهل امر إدارة الاقليم بكافة جوانبه كما هو الحال بالنسبة لمدينة واسط عند تاسيسها كما ان توسط المدينة بين الاقاليم المجاورة يعطي حرية الحركة والمرور للقادمين اليها او الخارجين منها وهو ما تمت مراعاته عند تخطيط مدينة بغداد من حيث تعدد أبوابها و لا شك ان تعدد مداخل المدن ومخارجها يسمح بنفاذية المرور منها واليها دون ازدحام مما يكفل اختصار الوقت والمسافة وهو ما تؤكد عليه الكثير من النظريات الحديثة .

٢_ خطة المدينة الإسلامية (التركيب الداخلي للمدينة الإسلامية) :

يخضع تخطيط المدينة الإسلامية لقواعد عامة محددة تبرز من بينها ثلاث قواعد اولها المسجد الذي اعطى للمدينة طابعها الاسلامي وثانيها دار الإمارة وهي مقر الحكم وادارة الدولة وثالثها خطة المدينة (١٦) التي تشمل توزيع استعمالات الارض المختلفة داخل المدينة ، وفيما سبق تمت مناقشة القاعدتين الأوليتين وبينا اثرهما في بناء المدن الجديدة في العصر الاسلامي وسنتطرق فيما ياتي لدراسة القاعدة الثالثة وهي خطة المدينة او ما يصطلح عليه التركيب الداخلي للمدينة وفق المفاهيم الحالية لجغرافية المدن.

تدرج التعقيد في التركيب الداخلي للمدن الاسلامية عبر السنين بفضل اكتساب الخبرة والاطلاع على تجارب الاخرين في تخطيط المدن ويبدو هذا واضحا فيما لو قارنا بين تخطيط مدينة البصرة اول المدن الاسلامية المخططة وبين مدينة بغداد مثلا حيث سنلاحظ الفرق واضحا بل ان تعاقب السنين على المدينة الواحدة .

واختلاف وظيفتها سيسهم في تغيير نمط التركيب الداخلي لها وهذا ما شهدته مدينة البصرة بعد ان تحولت من مدينة عسكرية الى مدينة للعلم والثقافة للمنطقة باسرها فضلا عن دورها التجاري ، ومما يميز المدينة الإسلامية أنها لم تنشأ لاسباب موضوعية بحتة وباسلوب هندسي يراعي الوضع الاقتصادي والجوانب

المادية فقط بل كانت تخطط منذ انشائها لتلبية مطالب الإنسان واشباع حاجاته النفسية والروحية والمادية ، ولم تكن المدينة العربية منظومة من المباني والمنشآت والمرافق فحسب بل كانت منسجمة مع حاجات الناس في كل مراحل عمره وبمختلف فئاته فهي (اي المدينة) تشيد وتنمو وتتطور وفق خطة هندسيـة تراعي مشاعر الإنسان وتضمن له الشعور بالدفء والامان وتوفر له فرص التعليم والعلاج والتكافل الاجتماعي كما تضمن له مستوىً معيشيا لائقاً بكرامته وانسانيته وكل شيء في المدينة في خدمة الانسان سواء كان ماديا أو معنويا.

فشكل المنازل ومنظومة الساحات العامة والطرق والشوراع والاسواق فضلا عن المرافق الخدمية كالمدارس والمستشفيات كلها تقاس بالمقياس الانساني وتراعي الابعاد السيكولوجية وتغطي رغبات الفرد وطموحه، والاسلام حينما أرسى دعائم الحياة الحضرية لم يرهق الانسان في حسابه التشريعي وانما وضع خطط المدينة على اساس النظرة الواقعية للانسان، كما لم يستمد الإسلام غاياته التي سعى إلى بلوغها في تنظيم المدن وتنسيقها من ظروف مادية وشروط موضوعية مستقلة عن الانسان ذاته وانما نظر إلى تلك الغايات بوصفها معبرة عن مبادئ وقيم عملية ضرورية التحقيق من الناحية الخلقية ، فالإسلام يهتم بالعامل النفسي من خلال الطريقة التي يضعها في تخطيط المدن وبناء المساكن وينطبق ذلك ايضا على الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وشكل وتنظيم الاسواق وبناء المرافق العامة وفتح القنوات لري الاراضي واحيائه واقامة الجسور(١٧) فهو في الاسلوب الذي يتبعه لتحقيق غاياته في تنظيم المدن وتنظيم المجتمع لا يهتم بالجانب الموضوعي فحسب وانما يعنى بشكل خاص بمزج العامل النفسي والذاتي بالطريقة التي تحقق تلك الغايات وللعامل الذاتي اثره الكبير في الحياة الاجتماعية ومشاكلها وحلولها.

فالاسلام إذن لا يقتصر في تنظيمه للمدن على تنظيم الوجه الخارجي للمدينة فقط او يهتم بالمدن الكبيرة ومظهرها المادي فقط و يهمل الأحياء الفقيرة أو المناطق الهامشية أو التجمعات التي تنتعش فيها روابط الجوار والمحلات والاسواق والخانات

كما يحدث في التخطيط الحضري للمدن الجديدة التي تركز على العاصمة وتبنى فيها افخم الفنادق والمطارات وارقى المستشفيات وتهمل المراكز الحضرية الاقل شأنا فتنعدم فيها الخدمات الطبية او التعليمية فضلا عن خدمات البنى التحتية .

٢_١ / الاستعمال السكني:

لاشك ان الوفاء بمتطلبات السكن لدى الناس تعد إحدى العوامل لاساسية التي تضعها الدول عن رغبتها في التاسيس لمدن جديدة ، وغالبا ما يحظى لاستعمال السكني بالنسبة الاكبر من استعمالات الأرض داخل المدن مهما كانت اسباب انشائها(١٨) ، وهذا ينطبق على المدن الإسلامية الأولى التي انشات

في عصر الراشدين صحيح أنها انشات لغرض عسكري والغاية منها دعم الجهد العسكري الا ان الاستعمال السكني حظي بالحيز الاكبر ضمن نسيج المدينة ،وسنتطرق هنا إلى التركيب الداخلي لمدينة البصرة عند تاسيسها حيث ابتدرعتبة عند اختطاط المدينة (وهو ما نصطلح عليه حاليا بتخطيط استعمالات الارض داخل المدينة)(١٩) ببناء المسجد ودار الإمارة ثم بعد ذلك قسم المدينة إلى خطط عديدة (احياء سكنية) جعل لكل قبيلة خطة خاصة بها ولعل الظروف التي انشات بسببها مدينة البصرة بوصفها مدينة عسكرية اختطت لاسكان المحاربين وعوائلهم دفعت عتبة بن غزوان إلي هذا الاجراء ليكون من امر تحفيز الجند على النفرة والتهيأ للقتال امرا سريعا فضلا عن اطمئنان الجند على ذويهم كونهم يسكنون في ذات الحي مع ابناء قبيلتهم مما يعني الحفاظ على الحالة النفسية للمجاهدين وهو مطلب ضروري في حاله المعارك وتم اخذ نفس الاعتبارات عند تخطيط مدن الكوفة والفسطاط ولا شك ان لهذا الاختيار اسبابه فالدولة الاسلامية لازالت في مهدها والقوة العسكرية الإسلامية على الرغم من قوتها واندفاعها نحو الجهاد بايمان واصرار كبير على نشر العقيدة الإسلامية بين الامم ، الا ان الطرف الاخر كان الافضل في معرفة طبيعة ارض المعركة ومسالكها مما يفرض على الجانب الاسلامي التفكير مليا في الحفاظ على الجيش فضلا عن الحفاظ على المدن الجديدة المشيدة نظرا لوجود عوائل المحاربين فيها مما يعني ضرورة حماية الارض المحررة جيدا والحفاظ عليها من أي

خطر محدق وهذا ما يذكرة ابن الربيع بقوله (وتحصين منازلها من الاعداء والاغدار)(٢٠) كما ان هذا الاجراء يعمل على تقوية اواصر صلة الرحم بين ابناء القبيلة الواحدة فضلا عما يمكن ان تشيعه تقارب القبائل المختلفة في خطط متجاورة من مظاهر الالفة والمحبة التي سعى الإسلام الى نشرها في المجتمع ، ومما تجدر الاشارة اليه ان لذلك اصلا في السُنَة العملية للرسول الاكرم(ص) عند اختطاطه للاحياء السكنية في المدينة المنورة حيث عمد الى توزيع الخطط على القبائل فجعل لكل قبيلة خطة (قطعة ارض) خاصة بها(٢١) وجعل من امر تقسيم الخطة وبنائها رهنا برغبة ابناء القبيلة وامكاناتهم المادية وقد اعطى هذا الاجراء ميزة للمدن الاسلامية لا يمكن ان نلاحظه في المدن الاخرى وهو تعدد اشكال الخطط السكنية ضمن المدينة الواحدة وهو ما افرز انماطا مختلفة من اشكال المباني واحجامها فضلا عن نمط شبكة الشوارع في كل خطة من خطط القبائل (الاحياء السكنية) ، ومما تجدر الاشارة اليه ان المخطط الاسلامي هنا لم يغفل عن امكانية النمو والتطور سواء للمدينة بشكل عام او للاحياء السكنية لذا نجده راعى في تقسيم الخطط إمكانية التوسع المستقبلي . (٢٢)

٢_٢ / الاستعمال التجاري والصناعي:

الاقتصاد في الإسلام جزءٌ من كل ولا يمكن تطبيق جزء منه دون بقية الاجـزاء والاسلام بوصفه كيانا حضريا لا يقبل التجزئة لانه صيغة حياة اجتماعية واقتصادية ونفسية فرديةً وجماعيــة وعالمية دنيويةً وأخروية خلقية ومادية، وترتبط كل هذه الكيانات العضوية في كائن عام بتفاعلات متبادلة غير قابلة للنقص او القطع او التجزئة، تعمل في تناسق واتساق بغير غنىً للجزء عن الكل أو للكل عن الجزء ،والسوق في المدينة الاسلامية ليس نسقاً ثقافيا في ذاته بقدر ما هو جزء من نظام ثقافي اكبر أو باعتباره جزءاً متكاملا ومتلاحماً ومتفاعلا مع انظمة فرعية اخرى منبثقة من نظام اكبر هو النظام الإسلامي وما فيه من مذهب اقتصادي يعالج المسائل الاقتصادية ويحدد انواع الملكية ويفرض نظاماً وقواعد للانتاج التوزيـع ويـوفر الضمانات للتكافل الاجتماعي والتوازن الاجتماعي ويفرض ضريبة الزكاة ليعطيها

الى مستحقيها ولاقامة المشاريع العامة والمنشآت الثقافية كاقامة الجسور وبناء المدارس وتشييد الجامعات واقامة المستشفيات ودور الرعاية الاجتماعية.

ونظرا لوقوع المسجد في الغالب موضعا يتوسط المدينة الاسلامية لذا اتخذت الاسواق فيها مكانا مجاورا للمسجد مستفيدة مما يصطلح عليه اليوم خاصية التجاذب الوظيفي وقد اختط الرسول الاكرم (ص) السوق في وسط المدينة المنورة ، وقد اعتمد توزيع المحلات التجارية ضمن الأسواق على اساس اعتبارات ثلاث فالاعتبار الأول عد التشابة في السلع المعروضة في كل سوق مطلبا رئيسا واما الثاني فقد اعتبر ترتيب المحلات في الأسواق يجب ان تتلائم مع احتياجات السكان الضرورية أما الاعتبار الثالث فاعتمد مطلب تجنب الضرر وتجدر الإشارة ان هذا الاعتبار يتلائم مع الشرع الإسلامي ووفق القاعدة الفقهية " لا ضرر ولا ضرار" ، وقد بدأ تخطيط الاسواق وتصنيفها بشكل علمي في العصر الاموي وتبدو اسواق مدينة واسط (٢٣) مثالا لذلك فضلا عن التطور الحاصل في اسواق مدن البصرة(٢٤) والكوفة(٢٥) والفسطاط(٢٦) حيث اصبح لكل نوع من انواع السلع مكانا خاصا ضمن السوق الكبير ، ومما يميز الاسواق الاسلامية ان توزيع المؤسسات التجارية فيها حكم وفق الشريعة الاسلامية خاصة فيما يتعلق بحقوق الاخرين كحرية الحركة والمرور في شوارع المدينة ، ومع تطور النشاط التجاري في المدن الاسلامية وخاصة في العصرين الاموي والعباسي وتعدد انواع المؤسسات التجارية فيها وكثرة تواجد التجار القادمين اليها تطلب الأمر ظهور الخانات (الفنادق) والحمامات والمقاهي والمخازن الكبيرة كمؤسسات ترتبط مكانيا مع الأسواق ، ومما تجدر الإشارة إليه ان الأسواق حظيت بأهمية كبيرة عند تخطيط مدينة بغداد ويذكر المؤرخين ان سوق المدينة مر بمرحلتين مهمتين ابان حكم المنصور(٢٧) حيث اخذ السوق جانبا منها وعلى الرغم من تاكيد المنصور على أهمية الحركة داخل السوق عند تخطيطه إلا ان التطور العمراني السريع الذي شهدته مدينة بغداد وزيادة إعداد السكان فيها ادت إلى ظهور مشاكل عدة تمثلت بكثرة الزحام داخل الأسواق مما

اضطر المخططـون والحال كذلك إلى ايجاد بدائل للسوق في بغداد وقد اختير للسوق الجديد موضعيـن جديدين الأول في جانب الكـرخ والـذي خطـط لـه المنصور بشكل مفـصل والـتي يـذكرالمؤرخون انه رسـم مخطـط الـسوق علـى قطعـة قمـاش حـدد فيـه اطـوال الشوارع وعرضها وقسم الـسوق إلى عـدة اقسام لكـل سـلعة أو حرفـة سـوقا خاصا بها ، وكذلك الحال مع السوق الثاني الذي اختيرت الرصـافة مكانـا لـه والـذي اعيد تصميمه في عهد المهدي وقـد حـاول المخططـون تـلافي الاخطاء الـتي ظهـرت في سـوق الكـرخ مما جعـل اسـواق الرصـافة الاكثـر اتساعا ، مما تجدر الإشـارة إليـه ان إعـداد ورسـم تـصاميم اساسـية لهـذه الأسـواق يعـد مرحلـة مهمـة في تخطيط المدينـة الإسلاميـة فوجود مثل هذه المخططات يـسهم بـشكل كـبير في معالجـة المشاكل بوقـت اسرع .

أما بالنسبة للاستعمال الصناعي فقد كانت المدن الاسلاميـة في معظمها مدنا تجاريه الا ان ذلـك لم يمنـع من ظهـور بعـض الـصناعات الـتي تخـدم النـاس في تـسهيل امـر معيشتهم ، و مما يمكـن ملاحظته من استقراء للمـصنفات العربيـة ان تلـك الـصناعات كانت تتخذ مكانا خاصـا بهـا ضـمن اطـار الـسوق في المدينـة وخاصـة في مـدن العـصر الراشدي والاموي وهو ما يمكن تعريفه اليوم بالتجـاذب الوظيفـــي المكـاني ، إلا ان العباسيين قـرروا عنـد تخطيط مدينـة بغـداد تخـصيص امـاكن محـددة للـصناعات الـتي تـسبب تلوثـا بيئيـا او ضوضـائيا للمدينـة بحيـث حـرص المخططـون ان تكـون هـذه الصناعات بعيدة بالقدر الكافي عن المناطق السكنية والاسواق حيث عمدوا مثلا إلى أبعاد صناعات الفخار من وسـط الأسـواق إلى أطـراف المدن كونهـا تـؤثر سـلبا علـى الـسكان كمـا ابعـدت كـذلك محـلات الحـدادين إلى أطـراف المدينـة ومنـع مجاورتهـا لمحلات البزازين (٢٨).

٢_٣ / شبكة الطرق في المدن الإسلامية :

تحدد شبكة الطرق في أي مدينـة هيكلـها العمـراني ويـشير علمـاء الاجتمـاع إلى أهميـة عامل النقل في تحديـد مستوى العلاقات بين سكان المدينة فضلا عن تأثيره المباشـرة في إمكانية نمو المدينة وتطورها ، لقد عـمد المسلمون عند إعداد خطـة المدينـة إلى إجـراء

تخطيطي ينم عن فهم واضح لأثر الطرق والشوارع في حياة أي مدينة لذا فقد قاموا في البدء بإعداد تصنيف لنمط الطرق في مدنهم والتي صنفت إلى نوعين عرف النوع الأول بالشوارع النافذة أو ما اصطلح عليه آنذاك بشوارع العامة وتكون ذات امتداد واسع مفتوحة إلى بقية تفرعات بقية الشوارع في المدينة ويكون أمر تحديد امتدادها واتساعها فضلا عن اتجاهها ضمن مسؤولية سلطة المدينة وفي إطار خطتها العامة أما النوع الثاني فقد عرف بالطرق الخاصة وهي عبارة عن طرق ذات نهايات مغلقة وغالبا ما تكون في داخل الخطط (الأحياء السكنية) أو الأملاك الخاصة وقد ترك أمر تحديد اتساعها وامتدادها واتجاها إلى سكان كل خطة (حي) إلا أنها غالبا ما تكون سبعة اذرع إتباعا لسنة الرسول (ص) عند التخطيط لتقسيم القطائع والخطط في المدينة المنورة حينما سن ذلك بقوله الشريف (إذا تدارأتم في شارع فاجعلوه سبعة اذرع).

ويلاحظ من استقراء المصنفات الإسلامية التي تناولت تخطيط الشوارع في المدن الإسلامية ان هناك عوامل عدة أثرت في تحديد شكل وامتداد وأنواع واتجاهات واتساع الطرق والشوارع في المدن الإسلامية فكما ذكرنا سابقا ان المسجد يعد سمة بارزة بل وأساسية في المدن الإسلامية لذا فمن البديهي ان تنتهي إلى المسجد كل الطرق والشوارع في المدينة مما يعني ان للمسجد الأثر الكبير في تحديد شكل وامتداد الشوارع المؤدية له (٢٩) ، كما وتأثر تخطيط الطرق والشوارع في المدن الإسلامية بخطة المدينة فقد أدرك المخطط للمدن الإسلامية آنذاك بأهمية الطرق بالنسبة للمدن فهي (الطرق) تربط التجمعات البشرية داخل المدينة وتعبر عن العلاقة بين سكان المدن ومرافقها المختلفة و مستوى الخدمات المقدمة فيها فكلما كانت الطرق تمتاز بمرونة الحركة وسهولة التنقل فيها أمكن للخدمات المقدمة في المدن من أداء واجباتها بالصورة المثلى _ فيما إذا لم يكن هناك قصورا في الخدمة نفسها _ ، كما ويؤثر موضع المدينة في شكل وامتداد واتجاه طرقها ومن هذا المنطلق فقد اهتم المسلمون في تخطيط نمط الشوارع وفق معطيات الموضع فقد كان للحيز الجغرافي دور في تحديد

امتداد الشوارع واتساعها ، كما كان للاعتبارات المناخية دورا في تحديد اتجاهات الطرق في المدن الإسلامية فمثلا كان اتجاه الطرق في بعض المدن من الشمال إلى الجنوب بحيث تتعامد عليها الشمس أثناء حركتها الظاهرية حتى تحقق لها اكبر نسبة من الظل خلال ساعات النهار فضلا عــن مرور الرياح الشمالية الغربية خلالها مما يكسب الطرق جوا مريحا نسبيا للمارة في حين تكون اتجاه الطرق في بعض المدن من الشرق إلى الغرب ويظهر هذا النوع من الطرق في المدن التي تقع في عروض أعلى حتى تتعامد الرياح الشمالية الغربية الباردة مع اتجاه الشارع وبالتالي توفر الدفء النسبي للشوارع في فصل الشتاء كما ان الشوارع العربية كانت تتميز بالضيق والتعرج وخاصة ضمن الاحياء السكنية وقد وفر هذا الاجراء لتلك الاحياء الدفء في الشتاء حيث لا يسمح ضيق الشارع ولا تعرجه باستقرار الرياح الباردة فيها كما لا تسمح صيفا للرياح الحارة والمترية بالتوغل فيها مما يوفر حماية لسكان تلك الاحيـاء من تقلبات المناخ مما يعني توفر البيئة الملائمة للسكن (٣٠) وهو اجراء تخطيطي ينم عن فهم واضح لدى المخطط العربي لظروف البيئة المحيطة به وقدرة عالية على التعامل معها ، كما اهتم المسلمون بنظافة الطرق والشوارع وأولوها أهمية كبيرة كونها تمثل شريان الحركة بالنسبة لأي مدينة ومما يلاحظ ان هذا الأمر كان تنفيذا لوصية الرسول (ص) حينما أكد على إزالة الأوساخ من الطرق ورفعها إلى إحدى مراتب الإيمان وذلك بقوله الشريف (الإيمان بضع وسبعون شعبة أدناها إماطة الأذى عن الطريق) (٣١) كما اعتبر المسلمين ان الاهتمام بجمالية الطرق مطلبا رئيسا يعبر بالضرورة عن جمالية المدينة وتكفي الإشارة هنا إلى ان عاصمة الخلافة العباسية (بغداد) كانت شوارعها مرصوفة بالآجر مضاءة بقناديل الزيت ، ومما تجدر الإشارة إليه ان الطرق في المدن الإسلامية تطورت بشكل مطرد من حيث الشكل والامتداد والاتساع مع تطور العمران في تلك المدن فضلا عن التقدم في مستوى الخبرة المكتسبة عند تخطيط المدن فمثلا اعتمد لشوارع مدينتي البصرة (٣٢) والكوفـة (٣٣) عند تأسيسهما ثلاث مقاييس حيث كان عرض الشـارع الرئيسي في المدينة و

المؤدي إلى المسجد ستين ذراعا في حين كان عرض الشوارع الثانوية فيهما عشرون ذراعا في حين كان عرض الأزقة في الخطط (الأحياء السكنية) سبع اذرع ، أما بالنسبة لمدينة واسط فقد كان عرض الطريق الرئيس فيها ثمانين ذراعا ، وفي بغداد اختلف عرض الشوارع الثانوية حيث بلغ خمسين ذراعا في حين ازداد اتساع الأزقة ليبلغ عرضها ستة عشر ذراعا أما في مدينة سامراء فقد حدد عرض الشارع الرئيس فيها بحوالي مئة متر تقريبا .

يتضح مما سبق ان المدن الإسلامية تميزت بحرية في تخطيط الطرق والشوارع وبشكل يختلف تماما عن تخطيط الطرق في المدن اليونانية والرومانية الأمر الذي يؤكد ان تخطيط المدن في العصر الإسلامي امتاز بحرية في التخطيط وبالشكل الذي عكس الواقع الاجتماعي الذي يؤمن حرية الفرد في إطار الصالح العام(٣٤) .

وبذلك يعتقد الباحث ان فرضية البحث قد تحققت من خلال الرؤى والمنهج الإسلامي الذي بدت ملامحه الفكرية واضحة المعالم من حيث تمثل المبادئ المتبعة حاليا في تخطيط المدن في تخطيط المدن خلال العصر الإسلامي دون الركون إلى أقوال المستشرقين الذين نفوا دور المسلمين في إضافة أي رؤى أو مبادئ إلي تخطيط المدن وليس دليل على ذلك اكبر من المبادئ التخطيطية التي امتازت بها المدن الإسلامية والتي تمثل انعكاسا للحياة الدينية والاجتماعية والسياسية والبيئية في ذلك الوقت.

الخاتمة:

لم يكن الإسلام مجرد دين بل حقبة حضارية جديدة تأتي وفق نمط وفكر وثقافة أرسى دعائمه تاريخيا يحمل معه نظرته إلى الأشياء وفلسفته في الابتكار، بدأت بإيقاظ الإنسان عن طريق إعادة تركيب وترتيب الظروف الموضوعية المحيطة به فقد كان الإسلام يهتم أولا وقبل كل شيء ببناء إنسان جديد يتفاعل مع مقومات الحياة الحضرية الجديدة قبل ان يهتم ببناء مدينة جديدة ليكون منسجما مع الحياة الحضرية. لذا بدت المدينة الإسلامية ذات تنظيم هندسي خاص يحمل دلالة معينة حيث يوجد المسجد في وسط المدينة مقترنا بدار الإمارة ليشكلا المنطقة المركزية في المدينة ـ ليعبر المعلمين عن توأمة الخطين الديني والسياسي وتأثيرهما المتبادل في إدارة المدينة الإسلامية ـ وقد كانت اغلب الطرق والشوارع في المدينة تؤدي إلى هذا المركز ، ومما يميز الخطة بالمدن الإسلامية على الإطلاق وجود مساحات كبيرة تحيط بالمسجد حددت فيها استعمالات الأرض في المدينة وفق متطلبات السكان ، ومما بدا واضحا من خلال الدراسة ان للشريعة الإسلامية دور كبير في ترتيب تلك الاستعمالات داخل المدن من خلال قاعدة " لا ضرر ولا ضرار" .

عليه يمكن القول ان تخطيط المدينة الإسلامية تميز بخصائص عدة جعلت للفكر الإسلامي هويته الخاصة تختلف فيه عن تخطيط المدن في الحضارات الأخرى وقد كان للسنة العملية للرسول (ص) آثرا واضحا في استلهام المخطط الإسلامي لطبيعة ترتيب استعمالات الأرض داخل المدن الإسلامية وعلى النحو التالي :

١ـ كان المسجد وفق الرؤية الإسلامية لتخطيط المدن النواة لتأسيس أية مدينة والحلقة الأولى لاستكمال كافة أجزاء الخطة فقد كان بمثابة المركز الإداري والثقافي فضلا عن دوره الأساس كمركز دينيا ينظم للمسلمين حياتهم العقدية لذا كان احتلاله لحيز مكاني يمثل وسط المدينة أمرا مبررا .

٢ـ امتازت شوارع المدينة الإسلامية بتدرجها بحسب طبيعه الاستعمال فمثلا تدرجت شوارع مدينة البصرة من حيث الاتساع ما بين ٦٠ ذراعا للشوارع العامة و٢٠ ذراعا للشوارع الفرعية وخصص للأزقة وشوارع الاحياء السكنية سبعة اذرع

فقــط .
٣ _ تعــد اســتعمالات الأرض التجارية (الأسواق) من العناصر الرئيسة في خطة المدن الإسلاميـة لـذا فقد احتلت حيزا مكانيا متقدما في مركز المدينة وغلبا ما تخصص لها مساحات قريبة من المسجد ، وظهر من خلال الدراسة ان الأسواق في المدن الإسلامية امتازت بالتخصص المهني منذ التخطيط للمدينة الأولى (البصرة) وقد بدا ان نمط وطبيعة توزيع الأسواق وفق تخصصاتها المختلفة تطور بشكل كبير مع تطور شكل الخطط للمدن الإسلامية المؤسسة لاحقا كبغداد وسامراء مثلا .

٤ _ ترك المخطط للمدن الإسلامية فضاء من الأرض يخلو من أي استعمال محدد يحيط بالمسجد من جميع الاتجاهات حدد الغرض منها لممارسة الأنشطة الدينية والاجتماعية والسياسية .

٥ _ تميزت شبكة الطرق في المدن الإسلامية بأنماط اختلفت بشكل كبير عنها في المدن اليونانية والرومانية فقد تميزت بأنواعها المختلفة سواء من حيث الشكل والامتداد والاتساع والاتجاه ، كما روعيت عوامل عدة في تخطيطها منها العوامل السياسية والاجتماعية والبيئية .

٦ _ تميز تخطيط الحي السكني في المدينة الإسلامية في بداية الأمر بطابع اجتماعي خاص برزت صورته من خلال تعدد الخطط السكنية بحسب كل قبيلة فالإحياء السكنية في المدن الإسلامية عرفت بأسماء القبائل .

الهوامش

١_ عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ،ط٣ ، مكتبة الانجلو المصرية،القاهرة،١٩٧٣ ، ص ٢٣٤ _ ٢٣٦.

٢ _ سعدون شلال ، اثر الإسلام في تطوير الفكر الاسلامي الجغرافي العربي، مجلة ديالى ،كلية التربية ، العدد١٩، جامعة ديالى ،٢٠٠٥ ،ص١٣٢. ينظر ايضا:

_ عبد الجبار ناجي ، مفهوم العرب للمدينة الإسلامية ، مجلة المدن العربية ، المنظمة العربية للمدن ، العدد ١٦، السنة الرابعة ،١٩٨٤ .ص ٦٤ _ ٦٦ .

٣_ احمد جارالله الجار الله، التكامل بين جغرافية الحضر والتخطيط الحضري والإقليمي، النشرة الدورية لقسم الجغرافية والجمعية الجغرافية الكويتية، العدد ٢٠٨،الكويت، ١٩٩٧.ص ٢٨ــ٣٢. ينظر ايضا:

_ سعدون شلال، اثر الإسلام في تطوير الفكر الاسلامي الجغرافي العربي ، مصدر سابق ، ص ١٣٠.

٤_ القرآن الكريم ، سورة القصص، آية (١٨)

٥_ القرآن الكريم ، سورة العنكبوت ،آية (٣٤)

٦ _ القرآن الكريم ، سورة البلد ، آية (١)

٧_ القرآن الكريم ،سورة النمل ، آية(٩١)

٨_ ابن خلدون ،عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر _ المقدمة ــ ج١ ،دار الفكر، بيروت، ٢٠٠١ .ص٣٠٧.

٩_ عبد المنعم ماجد، المصدر السابق ، ص٩٢ _ ١١٠ .

١٠_ عبدالرحمن علي عبدالرحمن الجادر ، مركزية موقع البصرة وهامشيته في صيرورة التاريخ دراسة في الجغرافية التاريخية ، رسالة ماجستير ،كلية الاداب ، جامعة البصرة ، ٢٠٠٠.(غير منشورة) ص ١٧.

١١_ ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ج١، دار صادر للطباعة ،ط٤ ،بيروت،١٩٩٥. ص ٤٢٠

١٢_ محمد عبدالستار عثمان،المدينة الإسلامية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، سلسلة عالم المعرفة ، العدد ١٢٨ ، مطبعة الرسالة ، الكويت ، ١٩٨٨

١٣_ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر _ المقدمة ــ ج١ ،مصدرسابق،ص ٥٤٧

١٤ _ صالح احمد العلي ، خطط البصرة ، مجلة سومر، الجزء الثاني ، العدد ٨ ، بغداد ١٩٥٢ ، ص ٣٠١ _ ٣٠٢

١٥ _ جمال حمدان ، جغرافية المدن ، مطبعة البيان ، بلا .ص ٣٢٤

١٦_ على بن عبد لله الدفاع ، رواد علم الجغرافية في الحضاره العربيه و الاسلاميه ، الطبعة الثانية ،مكتبه التوبه ، الرياض،١٩٩٣. ص ٤٩ .

١٧_ خلف حسين علي الدليمي، التخطيط الحضري أسس ومفاهيم،الدار العلمية للنشر،ط١، الاردن، ٢٠٠٢، ص ٣٠
١٨ _ عبد الرزاق عباس حسين ، جغرافية المدن ،مطبعة اسعد ،بغداد ،١٩٧٧.ص١٣٣
١٩_ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ص. ٣٥ . ينظر ايضا :
_احمد بن يحي البلاذري ،فتوح البلدان، دار الكتب العلمية،بيروت ،١٩٨٣. ص٢٧٦
_ محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج٤ ،دار الفكر، بيروت ،١٩٩٨.ص ١٧٩.
_ ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ج١، دار صادر للطباعة ،ط٢ ،بيروت،١٩٩٥. ص٤٣٠
٢٠_ محمد عبدالستار عثمان،المدينة الإسلامية، مصدر سابق ، ص ٩٥.
٢١_ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر _ المقدمة ـ ج٢ ،دارالفكر، بيروت، ٢٠٠١.ص ٥٤٩ .ينظر ايضا:
_ ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ج١،المصدر السابق،ص ٤٣٥.
٢٢_ محمد عبدالستار عثمان،المدينة الإسلامية، مصدر سابق ، ص ٥٥.
٢٣_ ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ج١، دار صادر للطباعة ،ط٢ ،بيروت،١٩٩٥، ص٣٤٧_٣٥٢
٢٤_ جاسم صكبان علي، البصرة في العصر الاموي ، موسوعة البصرة الحضارية ، المحور التاريخي، جامعة البصرة ، البصرة، ١٩٨٩. ص ١٥_ ٥٥.
_ ينظر ايضا : هدية جوان العيدان ،تخطيط مدينة البصرة في القرن الاول الهجري ، رسالة ماجستير في الاثار الإسلامية ، كلية الاداب ،جامعة بغداد، ١٩٨٣.(غير منشورة).
٢٥_ ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ج٤، دار صادر للطباعة ،ط٢ ،بيروت، ١٩٩٥ ،ص ٤٩٠_٤٩٣.
٢٦_ ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ج٤، دار صادر للطباعة ،ط٢ ،بيروت،١٩٩٥،.ص ٢٦١_٢٦٣.
٢٧_ الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، دار الغرب الاسلامي للطباعة، ط١، ٢٠٠١،ص ٣١٠. ينظر ايضا : _ ابن خلدون ، العبر وديوان المبتدأ والخبر _ المقدمة ـ ج٣ ، ،دارالفكر، بيروت، ٢٠٠١.ص ٢٤٧

٢٨_ محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج٩ ، مــصدر ســابق ،ص٢٠٩. ينظر ايضا: _ ياقوت الحموي ،معجم البلدان ، ج١، مــصدر ســابق، ص ٤٥٧.

٢٩ _ عبد الجبار ناجي ، مفهوم العرب للمدينة الإسلامية ، مصدر سابق ،ص٦٥.

٣٠_ _ سيد عباس علي ، اثر البعد البيئي على تخطيط المدن والعمارة الإسلامية ، مجلة المهندسين، جامعة الازهر ،السنة الثانية ، العدد الثامن ، القاهرة ،٢٠٠٧.ص ٤٣٤ _ ٤٣٨

٣١_ ولي الدين التبريزي، مشكاة المصابيح، المكتب الإسلامي للطباعة والنــشر، دمشق، ١٩٦١. ص١٠

٣٢_ عادل عبدالله خطاب ، خصائص استعمالات الارض في المدينــة العربيــة دراسة التراث لمدن البصرة والكوفة وبغداد، مجلة الجمعيــة الجغرافيــة العراقيــة ،العددان ٢٤و٢٥ ، بغداد، ١٩٩٠ ،ص ص ٩٦ _ ١١٠

٣٣_ احمد بن يحي البلاذري ،فتوح البلدان، دار الكتب العلميــة،بيروت ،١٩٨٣. ص٢٨٦ .

٣٤_ محمد عبدالستار عثمان،المدينة الإسلامية، مصدر سابق، ص ٢٢٦.

٣٥_ عبد الجبار ناجي ، موقف الاستشراق الأمريكي من دراسة المدينة العربية الإسلامية ، مجلة الاستشراق، االعدد الاول،١٩٨٧.

الخلاصة :

تهدف هذه الدراسة تقصي حقيقة الدور العربي و الإسلامي في رفد التخطيط الحضري بالأفكار والنظريات وذلك من خلال استقراء المصنفات الإسلامية التي تناولت المدن الإسلامية بالعرض والتحليل وذلك من خلال استعراض أسباب اختيار موضع وموقع المدن الجديدة فضلا عن مراحل تشييد هذه المدن وطبيعة التركيب الداخلي لها.

وقد أثبتت الدراسة صحة الفرضية الموضوعة لها حيث تبين حقيقة الدور الذي ساهم به المسلمون تخطيط مدنهم ، حيث ظهر ان المدن الإسلامية امتازت بعدة خصائص انفردت بها عن المدن الرومانية والإغريقية فخطة المدين (تركيبها الداخلي) مثلا تأثرت بشكل واضح بالأسس التي وضعها الرسول (ص) عند إعادة تخطيط

المدينة المنورة وخاصة في مجالات تحديد مكان المسجد ومقر الحكم والأحياء السكنية (خطط القبائل) والأسواق فضلا عن تحديد مقاييس الشوارع.

كما أثبتت الدراسة ان المدينة الإسلامية كانت مدنا منظمة هندسيا وفق نموذج ديني وسياسي واجتماعي واقتصادي يتمركز حول المسجد السمة البارزة في كل المدن الإسلامية.

ABSTRACT

The aim of this study is to reveal the actual role of Arabic and Islamic ideas theories of Urban Planning through the investigation in Islamic mother books, which tackle with the study and analysis of the Islamic cities .Its scheme is to display the reasons behind the choice of the site and situation of new cities, in addition to the building (erection) and the nature of its internal (inner) construction.

Fortunately, the study proved the correctness of its theory that the Islamic cities have unique features other than that of the Romans and Greeks these unique features are the result of the impact of the prophet (p.b.u.h) on Islamic city planning, when he re planned AL-medina AL-munawrah according to special foundation.

Finally, the study seems to succeed in its aim to prove that the Islamic cities were highly architectural, organized ones in accordance with religious, political, social and economical prototype central around the mosque the prominent feature all around the Islamic cities.